# حس الجمال.. كيف نصقله؟

## عصر النور والمعرفة سيشهد تطوراً كبيراً على صعيد الجمال

بقلم: م. ندى شحادة معوّض
life_76@hotmail.com

ما هو السر وراء توق الإنسان الدائم إلى الجمال؟ كيف يمكن لنا أن نعبّر عن الجمال أو حتى أن نصفه عندما تفلت منا الحروف وتستحي الكلمات لعجزها عن التعبير، لا سيما عندما تأخذنا الغبطة لدى رؤية جمال فائق يشعرنا بذلك الانخطاف المحبّب، وكأن هذا الجمال الماثل أمامنا بدأ يأخذ بعداً مقدساً فلا يسعنا سوى أن نستسلم للتأمل في روعته الأخاذة.

**الجمال الذي يخضع لقاعدة النسبية في العالم المرئي هو في الحقيقة خارج أطر المعادلات النسبية**

## فما الجمال؟ بل ما حقيقة الجمال؟

هل هو جمال الجسد والقوام، أم نضج الشخصية وتألق الحضور؟ هل حلو الكلام أم أناقة التعبير؟! هل الجمال في الفن هو ألوان منسجمة ونسبٌ متناسقة وحسب؟ وهل يكمن جمال فن الأدب مثلاً في كون الكلمة تصوير يتهادى معنىً، أم هو في بلاغته عشق بين «روح» المغزى وذات» المعنى و«جسد» المبنى- في دقة ورقة وقوة - دقة التعبير في رقة المشاعر وقوة الفكر..؟

## الجمال هدف الفن

لطالما كان هدف الفن هو الجمال ولطالما كان كل فن ذو قيمة يرمز إلى الحقيقة عبر وسائل وأنماط وأدوات مختلفة من التعبير.. ذلك لأن التعبير هو جوهر الإبداع الفني.. مهما تكن الإجابة، نلاحظ أن بين الأشياء الجميلة طابع مشترك أو صفة خاصة تضفي عليها سمة الجمال كالتناسق والانسجام والمنطق المتين إذا ما تكلمنا عن جمال المواضيع الفكرية مثلاً. يفيد علم الكلم (semantics) بأن مصطلح علم الجمال Aesthetics مشتق من الكلمة الإغريقية Aisthanesthai التي تشير إلى فعل الإدراك (to perceive)، وايضا من كلمة (aistheta) التي تعني الأشياء القابلة للإدراك (the perceptible). بالتالي نستنتج أن تذوّق الجمال لا بد وان يكون على صلة قوية بالعقل، لأن إدراك الجمال هو نتيجة علاقة بين الشيء الجميل والعقل الذي يدركه. والعقل هو أداة الوعي عبر الفكر كما هو معلوم.

**ما علاقة الجمال بالوعي؟ وهل يمكن للإنسان أن يطوّر حس الجمال لديه، وكيف؟**

كلما سألنا عن الجمال، أوّل ردٍ نسمعه هو: «الجمال نسبي»، فما يبدو لي جميلاً قد لا يعجب الآخرين، والعكس صحيح. ولكن دعونا اليوم نتفكّر عميقاً في هذه العبارة، ولنسأل أنفسنا: هل جمال الأشياء أو تألقها يتأثر بثقافة أو باختلاف آراء المشاهدين أو النقّاد؟ والجواب هو: كما أن المعرفة لا تكبر ولا تنمو إنما ذواتنا هي التي تكبر بالمعرفة وتنمو بها.. كذلك الجمال لا يتغير ولا يتبدل في عالم الحقيقة، أما في عالم الواقع فإن إدراكنا له يُصقل، وفهمنا له يَتوسع كلما ارتفعنا درجة على سلم الوعي..

إن تقوية حس الجمال في النفس هو تفعيل عملية استشفاف الجمال في كل ما حولنا من خلال الانفتاح الفكري - المشاعري أولاً.

فاستشفاف الجمال من خلال الانفتاح هو بالدرجة الأولى حالة تفاعل وتواصل مع الآخر، مع الحياة ومع الأشياء من حولنا.. إنه حالة مد وجزر، حالة عطاء وأخذ تمثل مدى حركة الوعي في الكيان. ولأن التفاعل هذا يختلف بين شخص وآخر نتيجة لتباين نسبة الوعي بين الأفراد، لهذا السبب ارتبط مفهوم الجمال بالنسبية.

## تصور علوم الوعي

في هذا الصدد تخبرنا علوم باطن الإنسان - علوم الوعي - الإيزوتيريك بأن: «الجمال الذي يخضع لقاعدة النسبية في العالم المرئي هو في الحقيقة خارج أطر المعادلات النسبية. فهذه (المعادلات النسبية) لا تمثل غير حاجة فكرية للتعرف إلى الجمال بالمقارنة.» وتضيف هذه العلوم النبيلة: «شعور الجمال لا يزكيه غير شعور الحب. فالجمال هو وهج الحب وهالته لأن الجمال في الأصل هو وهج النور وهالته في ما وراء الأرض». إذا فالحب - الحب الأصيل، يزكّي شعور الجمال لأنه يحقق الاستقرار والتوازن للكيان البشري من خلال تغلغله في كل من الجسد والمشاعر والفكر في ثلاثية: لذة- تفاعل- وعي. فالإدراك الفائق للجمال المادي مثلا يحدث خلال أرقى حالات الاكتمال لوعي الحواس، وهذا ما يحققه الحب!

## الحب والطاقة الخلاقة

فالحب هو دافع أساسي للطاقة الخلاقة في الإنسان، كونه يمثل صميم إرادة التغيّر والتغيير ووقود التحدي

**الحب الأصيل يزكّي شعور الجمال لأنه يحقق الاستقرار والتوازن للكيان البشري**

التجارب وتعمقت الخبرات الحياتية وتنوّعت.

الجمال حولنا كيفما تلفّتنا، لكننا لا ندركه كلياً

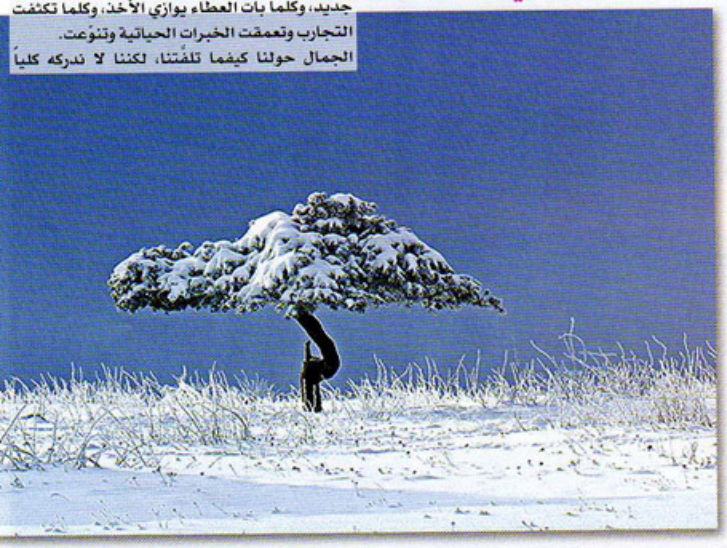

**الحب هو دافع أساسي للطاقة الخلاقة في الإنسان، كونه يمثل صميم إرادة التغيير**

الذي لولاه لما حقّقت النفس خطوة واحدة باتجاه التطور. فتأثير الحب في العقل هو تماماً كتأثير شعاع الشمس الذي يلامس زهرة مفتّحاً بُتيلاتها كي تستقبل الحياة في أبهى تعبير عن مكنون أريجها.

من هنا يمكننا القول انه إثر التوازن الذي يحققه فعل الحب في الكيان ككل، يحدث التالي تلقائياً:

- الأحاسيس والحواس تتيقظ وتصقل..
- المشاعر تترقرق وتتفاعل لتلتقط ارق نسمة وعي..
- الفكر يضحي دائم التوثب والترقب والتدفق..

هذه هي ثلاثية الإبداع التي تتوسع في شرحها موسوعة علوم الايزوتيريك. بالتالي فإن الإنسان الذي يحقق هذه الثلاثية في نفسه يتفتح لديه حس الجمال تلقائياً وبثّاً، فيضحي كل ما يصدر عنه يحفر نفسه في أذهان الآخرين وأفئدتهم سواء كان كتابةً أو قولاً أو عملاً، لأن مصدره ومنبعه الذات الإنسانية، وتغدو حياته مثالاً يُقتدى به.

## عصر النور والمعرفة

تنص علوم الايزوتيريك أيضاً بأن عصر النور والمعرفة المتقارب سيشهد تطوراً كبيراً على صعيد الجمال والذي سيعكس التطور الحاصل على مستوى الوعي الخاص والعام. أما بالنسبة لجمال المظهر (أو الشكل)، فممّا لا شك فيه أن العصر الجديد لن يقتصر على جمال القوام والمحيا فحسب بل على جمال الشخصية والمقدرة على التعبير.. أي جمال الوعي. بعبارة أخرى هو جمال النبض الذي يسري فهماً داخلياً كلما تفتحت المدارك لاستيعاب كل جديد، وكلما بات العطاء يوازي الأخذ، وكلما تكثفت

لافتقارنا إلى المعرفة والى دقة التمييز. من هنا بات علينا أن نتحضّر للمستقبل القريب وان نهذب حس الجمال في نفوسنا عبر:

-1 اكتساب دقة التمييز من خلال تطبيق القاعدة الفكرية الرباعية: تفكير- تحليل- تمييز- استنتاج.

-2 اكتساب النظام من خلال تطبيق التنظيم والانتظام. لأن النظام بحد ذاته هو جمال في ترتيبه وتناسقه وانسجام العناصر.

-3 اكتساب الرهافة المشاعرية والشفافية الفكرية.

كما وعلينا أيضاً أن نثابر على محاولة استشفاف الجمال في كل بقعة وفي كل مكان وفي كل شيء، سواء في الطبيعة من حولنا أو في الجماد، وحتى في مختلف أوجه القباحة. فجمال القباحة كحلو المر، يفوق بكثير حلو الحلو..